

الفصل الرابع

المؤنثات المعنوية دراسة نحوية

المبحث الأول

أقسام الجمع من حيث التذكير والتأنيث

كل جمع مؤنث

هناك طرائق مختلفة تعبر بها العربية عن الجمع، منها اللفظ الدال بوضعه على الجمع فلا مفرد له من لفظه وهو اسم الجمع مثل القوم والجيش والفريق وهو مفرد اللفظ جمعي الدلالة، ومنها اللفظ الموضوع على الجنس المتمثل الأفراد فيميز الواحد منه بلاصقة تاء المؤنث أو ياء النسب كالحب واحده حبة والترك واحده تركي، ومنه الجمع المكسر كجمع أسد على أسد أسود وآساد. ومنه جمع المذكر السالم وهو ما زيد على الواحد واو ونون كزيدون جمعاً لزيد، ومنه ما جمع بألف وتاء مثل جمع فاطمة على فاطمات وصحراء على صحراوات، وقطار على قطارات.^(١)

والجمع الذي أشرنا إلى أنواعه أعلاه أمر المطابقة له مرهون بكونه حقيقي الدلالة على جنسه أو مجازيها. وليس منها حقيقي الدلالة سوى المذكر السالم أما المكسر وما جمع بألف وتاء فهو مجازي الدلالة^(٢) قال ابن جني "وكل جمع فتأنيثه سائغ مستمر لأنه جماعة في المعنى"^(٣)، وقال ابن يعيش: ((قد تقدم القول أن الجمع يكسب الاسم تأنيثاً ؛ لأنه يصير في معنى الجماعة ، وذلك التأنيث ليس بحقيقي ؛ لأنه تأنيث الاسم لا تأنيث المعنى ، فهو بمنزلة (الدار) و(النعل) ونحوهما ، فلذلك (إذا أسند إليه فعل ، جاز في فعله التذكير والتأنيث) فالتأنيث لما ذكرناه من إرادة الجماعة، والتذكير على إرادة الجمع ولا اعتبار بتأنيث واحده أو تذكيره))^(٤) أحاول في هذا المبحث أن ألقى الضوء على قضية مجازية التأنيث في الجموع وذلك على النحو الآتي:-

١ - ينظر : المذكر والمؤنث ماهيته وأحكامه / ٣٤

٢ - ينظر : المصدر السابق / ٣٤

٣ - سر صناعة الإعراب ٦١٨ / ٢

٤ - شرح المفصل لابن يعيش ١٠٣ / ٥

أولاً : اسم الجمع ، وهو نوعان :

أ — مالا واحد له من لفظه نحو: قوم ، ونساء ، ورهط ، وغنم ، وضأن وقد عبر عنه سيبويه عند حديثه عن تحقير اسم الجمع بقوله: ((هذا باب تحقير ما لم يُكسر عليه واحد الجمع ، ولكنه واحدٌ يقعُ على الجميع...))^(١)

ب — ماله واحد من لفظه نحو: صحب، وركب، وطير، في جمع صاحب، وراكب، وطائر^(٢)

جاء في حاشية الصبان أن اسم الجمع ، إما واجب التأنيث كإبل وخيل ، مثل: قوله تعالى: ﴿ { z y x } | { } ﴾^(٣) وإما جائز الأمرين كركب . كما في قول الشنفرى

فَعَبْتُ غَشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةِ مُجْفَلٍ^(٤)

وإما واجب التذكير كقوم ، ورهط . مثل: قوله تعالى: ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾^(٥) وفي غالبه خلاف^(٦) وقد ذهب الرضي الى أن اسم الجمع لا يخرج عن أمرين إما واجب التأنيث ، وإما جائز الأمرين حيث يقول : ((وأما اسم الجمع بعضه واجب التأنيث كالإبل والغنم والخيل ، فحاله كحال جمع التكسير في الظاهر والضمير ، وبعضه يجوز تذكيره وتأنيثه ، كالركب ، فهو كاسم الجنس ، نحو (مضى الركب) و(مضت الركب)، و(الركب مضى ومضت ومضوا))^(٧)

^١ — ينظر : كتاب سيبويه ٤٩٤/٣ ، و المقتضب ٣٤٧/٣

^٢ — ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، لمحمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ) تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية ١ / ٦٣

^٣ — سورة الغاشية : ١٧

^٤ — والبيت للشنفرى الأزدي من قصيدته المسماة بلامية العرب ، ينظر ، شروح لامية العرب للعلماء الأجلاء ، المبرد ، والزمخشري وابن عطاء الله المصري ن وابن زكور المغربي : شرح وتحقيق ، الدكتور عبد الحميد هندلوي ، ط ١ ، دار الآفاق العربية ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م / ٦١ فقد قال في وصف سرب من القطا بعد أن شرب ، والعب : الجرع ، وغشاشاً : أي على عجل ، أو شربت قليلاً ، والركب: أصحاب الإبل إذا كانوا عشرة فأكثر . ، وأحاطة : موضع ، أو اسم قبيلة من اليمن أو الأزد ، ومجفل : مسرع ، و تاج العروس ٢٠ / ٢٠٢ ، الشاهد في البيت هو: أن "ركبا" عومل معه معاملة المفرد ، باعتبار لفظه ، ومعاملة الجمع ، باعتبار معناه ، بدليل عود الضمير عليه مفردا في قوله " مجفل "

^٥ — سورة النمل : ٤٨

^٦ — ينظر : حاشية الصبان ١ / ٦٣

^٧ — شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٥

ثانيا: اسم الجنس:

قال الفراء : " ثم يأتي نوع آخر من الجمع ، مثل: الشاء ، والبقر فإذا أرادت العرب إفراد واحدة قالوا : (شاة) للذكر والأنثى . لم تُرد بالهاء هاهنا ، التأنيث المحض ، إنما أرادوا الواحد ، فكرهوا أن يقولوا : (عندي جرادٌ) وهم يريدون الواحد من الجراد ... فجعلت الهاء دليلا على الواحد فهذا قياس مطرد.)) ^(١) وهو نوعان :

أ — اسمُ الجنسِ الجَمْعِي: فهو ((ما يدل على أكثر من اثنين، ويفرق بينه وبين واحده بالتاء "، والتاء غالبا تكون في المفرد " كبقرة، وبقر، وشجرة، وشجر، ومنه كلم وكلمة، وربما كانت زيادة التاء في الدال على الجمع مثل : "كم" للواحد و"كمأة" للكثير، وهو نادر. وقد يكون الفرق بين الواحد والكثير بالياء، كزنج وزنجي، وروم ورومي.)) ^(٢) يقول المبرّد : ((وأعلم أن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء ، فإنه جارٍ على سنة الواحد ، وإن عنيت به جمع الشيء ، من أنه فليس إلى الاسم يقصد ، ولكنه يؤنثها على معناه ، كما قال عز وجل : ﴿ تَزْعُ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَعْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ^(٣) لأن (النخل) جنسٌ وقال: ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَحْلٍ حَاقِيَةٍ ﴾ ^(٤) ، لأنه جمع (نخلة) ، فهو على معنى جماعة)) ^(٥)

ب — اسم الجنس الإفرادي: فهو " ما يصدق على الكثير والقليل واللفظ واحد " "كماء وذهب وخل وزيت ، ولبنٌ وماءٌ وعسلٌ". ^(٦) قال المبرّد : ((كان حقه أن يكون مذكرا ؛ لأنه جنسٌ. ويجوز تأنيثه ؛ لأنه جماعة، وإن كان على هيئة)) ^(٧) مثل: قوله تعالى: ﴿ * + ﴾ ^(٨) قرأ الجمهور : ﴿ + ﴾ بالتذكير، وقرأ أبي بن كعب: ﴿ تشبهت بالتأنيث ^(٩)

^١ — كتاب المذكر والمؤنث للفراء ٦٩/

^٢ — شرح ابن عقيل ١٥ / ١

^٣ — سورة القمر : ٢٠

^٤ — سورة الحاقة: ٧

^٥ — ينظر : المقتضب ٣٤٦ / ٣

^٦ — شرح ابن عقيل ١٥ / ١

^٧ — كتاب المذكر والمؤنث للمبرّد ١٠٦/

^٨ — سورة البقرة : ٧٠

^٩ — ينظر : معجم القراءات ١٢٣ / ١ ١٢٤.

وقال أنس بن مُدْرِك :

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقْرُ ^(١) "عافت" بالتأنيث

ثالثاً : جمع التكسير، وهو نوعان :

أ- جمع قلة : وهو الذي يدل حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة كأفلس، وفتية، وأفراس .

ب - وجمع الكثرة: وهو الذي يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية، كأطفال ، و كتب ، و رسائل . ويستعمل كل منهما في موضع الآخر مجازاً ^(٢) قال ابنُ يعيش : ((فما كان من الجمع مكسراً ، فأنت مخيرٌ في تذكير فعله وتأنيثه ، نحو : (قامَ الرجالُ) و (قامتِ الرجالُ) ، من غير ترجيح ؛ لأنَّ لفظ الواحد فيه قد زال بالتكسير وصارت المعاملةُ مع لفظ الجمع " ^(٣)

وإذا نلاحظ النظم القرآني نجد أنه قد أتى بعلامة التأنيث في مواطن كثيرة جداً بالنسبة إلى مواطن تركها ، سواءً أكان الفاعل متصلاً بفعله أم منفصلاً عنه . ^(٤) فقدأنت الفعل في قوله تعالى: ﴿لَكَ جِوَارِيكَ مِنْ يَمِينِكَ وَفِي يَمِينِكَ مَرْجُلٌ﴾ ^(٥) وذكر الفعل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ ۖ وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾ ^(٦)

ولا فرق في ذلك بين جمع التكسير المذكر، مثل : قامت الزُّيُود ، أوقام ، وجمع التكسير المؤنث، مثل: عرفت الفواطم قيمة الحجاب، أو عرف. ^(٧)

رابعاً: جَمْعُ السَّالِم ، وهو نوعان :

^١ - البيت نسب إليه في مجمع الأمثال، للنيسابوري ١٤٢ / ٢، و تاج العروس ٢٤ / ٣٠ وبلانسة في العين

١ / ١٦٠ و ٨ / ٢٣٣ ، و مقاييس اللغة ٤ / ٧٠

^٢ - شرح ابن عقيل ٤ / ١٣٤

^٣ - شرح المفصل ، لابن يعيش ٥ / ١٠٣

^٤ - ينظر ، دراسات لأسلوب القرآن ٨ / من ٣٩٨ إلى ٤١٥

^٥ - سورة: فصلت ، ١٤

^٦ - سورة: يوسف ١١٠

^٧ - ينظر : المقرب لأبن عصفور ٣٣٢ /

أ - جَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ:

إنَّ النحاة حول إلحاق علامة التأنيث بالفعل مع جمع المذكر السالم على رأيين :

١ - البصريون، فيجيزون الوجهين في جمع التكسير واسم الجمع، ويوجبون التنكير في جمع المذكر السالم، والتأنيث في جمع المؤنث السالم. ^(١)

٢ - وأما الكوفيون يجيزون إلحاق العلامة وتركها مطلقاً بفعل كلِّ الجموع، حتى المذكر السالم منها ^(٢) وحجتهم قوله تعالى: ﴿ ٩٨ : < ; = > ? @ A B C D E F H G I ﴾ ^(٣) فأنت الفعل مع جمع المذكر السالم .

ب - جَمْعُ الْمُؤنَّثِ السَّالِمِ:

قال ابنُ يعيش : ((فما كان منه لمؤنثٍ ، نحو المسلمات و الهندات ، كان الوجهُ تأنيثُ الفعل)) ^(٤) وذلك لأنَّ جمعَ المؤنث السالم ، مؤنثٌ من وجهين ، أحدهما : إنَّ مفردَهُ مؤنثٌ ، والثاني : تقديره بالجماعة ، ولو ذكرنا فعله ، يكون ذلك التنكير من جهة التأويل بالجمع فقط ^(٥) وأما الرضي ، فيرى أنَّ هذا الجمع - حقيقه ومجازيه - كالمؤنث المجازي ؛ لأنَّ مفردهُ يتغير من حيثُ العلامة ((إما بحذفها إن كان تاءً ، نحو : (الغرفات) ، أو بقلبها ، إن كان ألفاً ، كما في (الحلبات) و (الصحراوات))) ^(٦) فيجوز عنده إثباتُ العلامة ، ويجوز تركُّها . مثالُ إلحاق العلامة بالمؤنث المجازي قوله تعالى: ﴿ مَرُّ بَعْدَ مَرٍّ ﴾ ^(٧) ومثال تركُّها، مع الفعل قوله تعالى: ﴿ يَخْلُفُ مَخْلُوفًا ﴾ ^(٨) وبدون الفصل ما جاء في القرآن

^١ - شرح شذور الذهب، لعبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦هـ) (مراجعة وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط٢، دار الفكر - بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م / ٢٢٨

^٢ - ينظر: شرح ابن عقيل ٢ / ٩٥ و حاشية الصبان ٢ / ٧٧

^٣ - سورة يونس : ٩٠

^٤ - شرح المفصل، لابن يعيش ٥ / ١٠٤

^٥ - ينظر : شرح المفصل، لابن يعيش ٥ / ص ١٠٤

^٦ - شرح الرضي على الكافية ، ٣ / ٣٤٢

^٧ - سورة : البقرة: ٢٠٩

^٨ - سورة : آل عمران: ٨٦

إلا في موطن واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾^(١) وأما جمع المؤنث السالم الحقيقي التأنيث، فقد ذُكر فعله في القرآن الكريم في موطنين^(٢) هما قوله تعالى: ﴿Z { | و﴾^(٣) و \$ %﴾^(٤)

وأرى أن الأمثلة التي عرضتها في هذا المبحث من الجموع قسم منها نوع من المؤنث المعنوي وهي:

- ١- اسم الجمع لغير العاقل: مثل: الغنم والخيول والإبل رعت، ومثل قوله تعالى: ﴿x y z { | و﴾^(٥) ((لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، وصغرت، فالتأنيث لازم لها))^(٦)
- ٢- اسم الجنس الجمعي للعاقل: مثل: "العرب قالت" فالضمير في "قالت" هي "راجع على" العرب" لأنه تدل على الجماعة لفظاً^(٧)

- ٣- جمع التكسير لغير العاقل، سواء أكان مفردة مؤنثاً: كجواهر وعيون، أو مذكراً كحبال ورماح، قال سيبويه: ((وأما الجميع من الحيوان الذي يكسر عليه الواحد فبمنزلة الجميع من غيره الذي يكسر عليه الواحد في أنه مؤنث))^(٨) وقد علل ابن يعيش بقوله: ((لأن لفظ الواحد فيه قد زال بالتكسير وصارت المعاملة مع لفظ الجمع))^(٩) تقول: الرماح تكسرت، ومثل قوله

^١ - سورة: هود: ١٠

^٢ - ينظر: المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، فراس عصام شهاب السامرائي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة البصرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م / ٤٦

^٣ - سورة: الممتحنة: ١٠

^٤ - سورة: الممتحنة: ١٢

^٥ - سورة الغاشية: ١٧

^٦ - الصحاح، مرتب ترتيباً ألفبائياً على وفق أوائل الحروف: ٧٨٦/

^٧ - ينظر: المقتضب ٣/ ٣٤٦

^٨ - كتاب سيبويه ٣٩/٢

^٩ - شرح المفصل، لابن يعيش ١٠٣/ ٥،

٤- جمع المؤنث السالم: لأنه ، مؤنثٌ من وجهين ، أحدهما : إِنَّ مَفْرَدَهُ مؤنثٌ ، والثاني : تقديره بالجماعة^(٢)، مثل: الهندات والبنات فعلت، الهندات والبنات فعلن.

٢- ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش ٥ / ١٠٤

المبحث الثاني

أثر المؤنث والمؤنث المعنوي في اسم الإشارة والضمير

المطلب الأول : أثر المؤنث والمؤنث المعنوي في اسم الإشارة والخطاب

١. الإشارة:

ميزت اللغة العربية في الإشارة إلى الأسماء بين الجنسين، إذ يشار إلى المذكر المفرد بلفظ مختلف عن اللفظ المشار به إلى المؤنث. يشار إلى المفرد المذكر بـ " ذا " ويشار إلى المفردة المؤنثة بأربع كلمات ، وهي: "ذي، هذه، تي، تا" قال ابن مالك :

بذا لمفرد مذكر أشر بذى وذه تي تا على الأنثى اقتصر^(١)

وقد تلحق هذه الأسماء "ها" التنبيه من أولها^(٢) . تقول للمفرد المذكر: (هذا رجل) وللمفردة المؤنثة (هذي فاطمة، وهذه فاطمة، وتلك المرأة ، و تا فاطمة) وأكثرها استعمالاً " ذه، وتي" قال تعالى: ﴿ ٩ : < = > ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٤)

وكذلك يشار إلى المثنى المذكر بلفظ مختلف عن اللفظ المشار به إلى المثنى المؤنث. يشار للمثنى المذكر بـ "ذان ، وذين" مثل قوله تعالى: ﴿ ٥ : r q p o n ﴾^(٥) ويشار إلى المؤنثة المثنى بـ "تان وتين"^(٦) مثل : انظر إلى هاتين الصحيفتين اللتين بجوار التلاميذ .

١ - الألفية في النحو : ص ١٠

٢ - ينظر : المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري / ١٨١

٣ - سورة هود : ٦٤

٤ - سورة الزخرف : ٧٢

٥ - سورة الحج : ١٩

٦ - ينظر : علل التنثية، لأبي الفتح عثمان ابن جني النحوي الموصلي (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: الدكتور صبيح التميمي

، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م / ٧٦

وأما الجمع فهو مشترك إلا إشارة في المذكر والمؤنث وله لفظة واحدة "أولاء" ،مثل قوله تعالى: ﴿ ز ي x w v ﴾^(١) للمذكر وقال: ﴿ { | } ~ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^(٢) للمؤنث فاستعمل "أولاء" للنوعين المذكر والمؤنث.^(٣)

ومن حيث المشار إليه ، قد تشير الى المعنى لا اللفظ مثل : هذا حمزة جالس، وهذه مرضع ،ولذلك قال سيبويه : ((ومما يدل على أنك حذفتم سورة قولهم: هذه الرحمن. ولا يكون هذا أبداً إلا وأنت تريد: سورة الرحمن))^(٤)

وقد تشير الى المعنى ، أوالى اللفظ ، قال ابن التستري : ((الألف: من العدد ذكر، يجمع ثلاثة ألف. فإن رأيت قائلاً يقول: هذه ألف درهم، فإنما يعني الدراهم لا الألف، ولو كان الألف مؤنثاً لقل في جمعه ثلاث آلاف.))^(٥)

٢- كاف الخطاب: إذا كان المشار إليه غائبا أو بعيداً فكانت الحاجة الى مايدل ذلك من كاف الخطاب وهي: حَرَفُ مَعْنَى لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ، ويجوز أن تزيد قبلها لاما إذا كان المشار إليه بعيداً^(٦) وفيها وجهان^(٧) :

١ - سورة طه: ٨٤

٢ - سورة هود : ٧٨

٣ - ينظر : شرح قَطْرُ النَّدى وَبَلِّ الصَّدَى / ١١٠

٤ - كتاب سيبويه ٣ / ٢٥٦ ، ٢٥٧

٥ - المذكر والمؤنث لأبن التستري / ٥٨

٦ - ينظر : أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، (ت ٥٧٧هـ) ،تحقيق: د. فخر صالح قدادة، ط١ ، دار الجيل - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م / ٣٤٠، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١ / ١٣٦

٧ - ينظر : شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح ، في النحو ، لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ١ / ١٤٥ ومعاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، ط٢ : شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ١ / ٩٢

أ - مطابقة الكاف للمخاطب، في المذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع، فتقول: "ذلك" بفتح الكاف إذا كان المخاطب مذكراً، مثل قوله تعالى: ﴿! " # \$ % & '﴾^(١)، وتقول:

"ذلك" بكسر الكاف إذا كان المخاطب مؤنثاً، قال تعالى: ﴿y z { | } ~ هَينَ

وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾^(٢) وتقول: "ذاكما، وذلكم، وذلكن"، بضم الكاف في التنثية

والجمع قال تعالى: ﴿وَفَادَّيَهُمَا رَبَّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾^(٣) وقال: ﴿^ _ a`

b c﴾^(٤) وقال: ﴿C D E F G﴾^(٥)

ب - أفراد كاف الخطاب وتذكيره على كل حال، فتقول: "ذلك" بفتح الكاف، في

المذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع، قال تعالى: ﴿S R Q P O N﴾^(٦)

وقال: ﴿وَكَاكَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٧) وقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٨)

وقال: ﴿S R Q P O N﴾^(٩)

وقد أشار بعض النحاة أن " لإفراد الكاف إذا خوطب به جماعة تأويلين :

أحدهما: أن يقبل بالخطاب على واحد من الجماعة لجلالته والمراد له ولهم .

والثاني: أن يخاطب الكل ويقدر اسم مفرد من أسماء الجموع يقع على الجماعة .

تقديره ذلك يوخط به يا فريق، ويا جمع ونحو ذلك. " (١٠)

١ - سورة الإسراء: ٣٩

٢ - سورة مريم: ٢١

٣ - سورة الأعراف: ٢٢

٤ - سورة الأعراف: ١٤١

٥ - سورة يوسف: ٣٢

٦ - سورة البقرة: ٨٥

٧ - سورة الأحزاب: ٣٠

٨ - سورة البقرة: ٢١٩

٩ - سورة البقرة: ٨٥

١٠ - همع الهوامع ج ١ / ٣٠٠

فيتضح مما تقدم ان اسم الإشارة يتغير بحسب المشار إليه، وكذلك كاف الخطاب تتغير بحسب المتحدث إليه، فالكاف في قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ؟ المخاطب هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس المشار إليه، وكذلك في قوله: ؟قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ؟ المنكلم عنه مؤنث، فكسرت الكاف؛ لأن المتحدث عنه -وليس المشار إليه مؤنث - . وكذلك إذا تشير إلى جماعة فنقول: "أولاء" فتشير إليهم لأنهم جماعة، وتفتح الكاف "ك"؛ لأنك تحدث شخصا واحدا مذكرا، ولوتحدث مع امرأة لقلت: "أولئك" بكسر الكاف، ولو تحدث جماعة تشير إلى شخص واحد لقلت: "ذاكم" أو جماعة إناث "ذاكن" وهكذا الخ.

أثر المؤنث المعنوي في الإشارة وكاف الخطاب

أما المؤنث المعنوي فله أثر في الإشارة وكاف الخطاب مثل أثر المؤنث الحقيقي : إذ يشار الى المفرد المؤنث المعنوي بأربع كلمات، وهي: "ذي، ذه، تي، تا" وقد تلحقها "ها" التنبيه من أولها ^(١): مثل قولك: "هذه هِنْدُ ابنة خالدٍ"، وهذي هند ابنة خالدٍ، وتاهند مُتَحَبِّبَةً ()، ومثل قوله تعالى: ﴿هَـٰذِهِ هِنْدُ ابْنَةُ خَالِدٍ﴾ ^(٢) و قال تعالى: ﴿هَـٰذَا هُوَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ^(٣)، وكذلك يشار الى المثنى المؤنث المعنوي ، بـ "تان" رفعا " وتصير: تَيْنٍ" نصبا وجرأ ^(٤)، مثل : هاتان درعان دلاص ^(٥)، و مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ ۖ أَنْ كَهِّنَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍ﴾ ^(٦)

ومن حيث المشار إليه، قد تشير بـ "هذه"، و" تلك" الى جمع التكسير وإن كان الأصل فيهما الإشارة الى المفردة، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ﴾ ^(٧)

١ - ينظر: الألفية في النحو : ١٠/ والمفصل في صناعة الإعراب، ١٨١/

٢ - سورة يس : ٦٣

٣ - سورة البقرة: ١٨٧

٤ - ينظر : علل التنثية / ٧٦

٥ - أي: براق، يقال: للواحد والجمع من الدروع.

٦ - سورة القصص: ٢٧

٧ - سورة الأنبياء: ٥٢

،ومثل ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ (١) لأن كل جمع يصح تأنيثه ، إلا ما كان بالواو والنون فيمن يعقل فيجب تذكيره ، تقول: " هذه رجال " ولا تقول هذه معلمون. قال المبرد: ((أن كل جماعة تخبر عنها ،فلك أن تؤنثها على معنى جماع)) (٢)

وقد تشير بـ "هذه"، الى المشار إليه المحذوف ،مثل قوله تعالى: ﴿رَقِطَ أَرْبَابًا مِمَّنْ هُتِفَتْ آلِهَتُهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَنَّهُمْ لَمَّا قَامُوا إِلَىٰ آلِهَتِهِم كَانُوا خَائِبِينَ﴾ (٣) أي: أى لئن أنجيتنا من هذه الشدائد والاهوال.

أمثلة لأثر المؤنث المعنوي في كاف الخطاب : والجدير بالذكر أن الكاف تجيء لتحديد نوع المخاطب الذي يستمع إليك وأنت تشير .

مثال لمفرد المؤنث المعنوي: كيف ذاك الرجل ؟. هذا إذا سألت زينب عن رجل : وإن سألتها عن امرأة قلت : كيف تلك المرأة ،وإن سألتها عن رجلين قلت :كيف ذاك الرجلان يا زينب وإن سألتها عن جماعة قلت : كيف أولئك الرجال يا زينب ،بكسر الكاف الخطاب .

ومثال لمثنى المؤنث المعنوي: أولئكما ماهرون في عملهم، والمتكلم عنه في هذه الجملة المثنى والتقدير ،أولئكما ماهرون في عملهم يا زينبان. " كما " للخطاب" مطلقا،أي للمذكر والمؤنث.

ومثال لجمع المؤنث المعنوي: أولئكن ماهرون في عملهم. والمتكلم عنه في هذه الجملة جمع مؤنث ، والتقدير أولئكن ماهرون في عملهم يا زينبات.

١ - سورة ال عمران : ١٤٠

٢ - كتاب المذكر والمؤنث للمبرد/ ١١٣

٣ - سورة يونس : ٢٢

المطلب الثاني

أثر المؤنث والمؤنث المعنوي في عود الضمير^(١)

الضمير قد يكون عائداً الى اسم مفرد ، أو مثني ، أو جمع .

فأما اسم المفرد فضمائر العائد إليه مختلفة أي: إذا كان المرجع مفرداً مذكراً ، وجب أن يكون الضمير مفرداً مذكراً^(٢) مثل قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَرَ الْوَجْهَ إِلَى الْخَلْفِ فَأَعْبَسَ بِمَا فَجَّرَ النَّارَ﴾ (٣) فإلهاء في (إنه) عائدةً على ابن نوح - عليه السلام - المذكور قبل هذه الآية ﴿وَأَدْبَرَ الْوَجْهَ إِلَى الْخَلْفِ فَأَعْبَسَ بِمَا فَجَّرَ النَّارَ﴾ (٤) وإذا كان المرجع مفرداً مؤنثاً، وجب أن يكون الضمير مفرداً مؤنثاً^(٥) مثال في المؤنث الحقيقي قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَرَ الْوَجْهَ إِلَى الْخَلْفِ فَأَعْبَسَ بِمَا فَجَّرَ النَّارَ﴾ (٦) فالضمائر: "هي" ، والهاء من "أهلها" والمستتر في "قصدت" "هي" ، راجعةً إلى امرأة العزيز . وقد وردت بعض الأمثلة في اللغة العربية ظاهرها المخالفة بين الضمير ومرجعه في الأفراد والتذكير . ولكن يحمل على معنى آخر لدفع هذه المخالفة . لأن الحمل على المعنى جارٍ في لسان العرب وقد وضع ابن فارس في الصحابي باباً يقول فيه: ((هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه.))^(٧) ويقول أبو حيان: ((والتذكير على المعنى وارد في لسانهم))^(٨) مثل :

١ - فالأصل في مرجع الضمير أن يكون سابقاً على الضمير وجوباً

٢ - ينظر ، النحو الوافي ١ / ٢٤٣

٣ - سورة هود: ٤٦

٤ - سورة هود: ٤٥

٥ - ينظر ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢٨٦/٤ والنحو الوافي ١ / ٢٤٣

٦ - سورة يوسف: ٢٦

٧ - الصحابي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي وشركاه - القاهرة . ٢٤٥/

٨ - تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمديعوض، آخريين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣ م ٢ / ٢٦

أ — قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) فالضمير في (بَدَّلَهُ) ، مفرد مذكر وقد عاد على (الوصية) ، وهي مفرد مؤنث ، الظاهر هذا التخالف ولكن الوصية هنا بمعنى الإيحاء . قال الزمخشري: " فمن غيّر الإيحاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود " ^(٢)

ب — وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾^(٣)، فقد عاد ضمير مفرد مذكر وهو الهاء من (اسمه) على (كلمة)، وهي لفظ مفرد مؤنث. إن (الكلمة) في الآية بمعنى (الولد)، قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أي: يقول له كن فيكون ^(٤)

وأما المثنى فضمير العائد إليه مشترك غير أن مثنى المؤنث تصحبه تاء التانيث، قال الرضي: "واقصروا، لمثنى مذكره ومؤنثه على الألف الذي هو علامة النثية في كل مثال لمثنى المذكر قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ ^(٥) فالألف في (قالا) عائدة على موسى وهارون "عليهما السلام"، ومثل: الرجلان ذهبا ، ومثال لمثنى المؤنث الحقيقي قوله سبحانه: ﴿> = @ DC BA E F H I J﴾^(٦) فالألف في (قالتا) عائدة على (امرأتين) المذكورتين في هذه الآية نفسها، وهي ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ ومثل: والمرأتان ذهبتا.

١ — سورة البقرة: ١٨١

٢ — الكشف ٢٥٠/١

٣ — سورة: آل عمران: ٤٥

٤ — تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، (المتوفى ٧٧٤هـ) دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ - ١/ ٣٦٤

٥ — شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤١٣

٦ — سورة طه: ٤٥

٧ — سورة القصص: ٢٣

والجمع بنسبة ضمير العائد إليه أنواع :

أ - اسم الجمع:

وهذا النوع من الجمع إما أن يكون للعاقل أو لغير العاقل، وأما العاقل فيجوز أن يعود عليه ضمير المذكر والمؤنث. مثل: الركب مضى ومضوا، والركب مضت.^(١) ، ومثل : جاء القوم ، وجاءت القوم . قال تعالى: ﴿ V UT SR Q P O NM ﴾^(٢) قال الشنفرى:

فَعَبْتُ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَانَهَا مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاطَةِ مُجَلِّ

وأما اسم الجمع لغير العاقل فيرجع إليه ضمير المؤنث فقط ويكون مثل جمع التكسير: مثل : الغنم والخيل والإبل رعت^(٤)

ب - اسم الجنس الجمعي:

وكذلك هذا النوع من الاسم إما أن يدل على العاقل أو غير العاقل ، وأما العاقل فعود الضمير إليه إما أن يكون باعتبار اللفظ أو باعتبار المعنى فأما الأول فتلحق تاء التأنيث بفعله ويستتر الضمير (هي) الدال على الجماعة ، مثل: العرب قالت، وأما الثاني فتلحق بالفعل واو الجماعة، مثل : العرب قالوا^(٥) وهذا النوع من اسم الجنس الجمعي هو الذي يكون مفردة بالياء المشددة ، مثل: روم - روميّ و زنج - زنجيّ. وأما غير العاقل :فهو من الألفاظ الذي يذكر ويؤنث لذلك يعامل معه في عود الضمير إليه معاملة المفرد المذكر أو المؤنث، مثل: النخل انقعر (مثل المفرد المذكر) والنخل انقعر (مثل المفرد المؤنث) ويجوز أن يعامل معه في عود الضمير معاملة ضمير جمع التكسير لغير العاقل، مثل : النخل انقعر^(٦) وهذا النوع من اسم الجنس الجمعي هو الذي يكون مفردة بالتاء غالبا ،مثل :نخل، نخلة، وشجر شجرة .

١ - ينظر شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٥

٢ - سورة النمل ، ٤٨

٣ - فقد تخرجنا سابقا: ١٤٩

٤ - ينظر شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٥

٥ - ينظر المصدر السابق : ٣ / ٣٤٥

٦ - ينظر المصدر السابق : ٣ / ٣٤٥

ج - جمع التكسير، وهذا الجمع يأتي على :

١- المذكر العاقل : فالضمير في هذا الجمع يرجع اليه باعتبارين باعتبار لفظه أو باعتبار معناه، فإذا اعتبر اللفظ اتصلت بفعله تاء التأنيث واستتر الضمير (هي) نحو: الرجال قرأت القرآن، وإن اعتبر المعنى اتصلت بالفعل واو الجماعة: الرجال قرؤوا القرآن.^(١)

٢- والمؤنث العاقل وغير العاقل من مذكر ومؤنث، فعود الضمير إلى هذا الجمع باعتبارين إما باعتباره جماعة فتتصل بالفعل التاء ويستتر الضمير (هي) مثل: الظلمات ذهبت، والجدوع انكسرت. وباعتبار المعنى فتتصل بالفعل (نون النسوة): فيقال: الظلمات ذهبن، والأجداع انكسرن.^(٢) ومثل قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ۖ إِن كُنْتُمْ إِلَّا تَعْبُدُونَ﴾^(٣) والضمير في () لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن^(٤)

د - جمع المذكر السالم أو ما جمع بالواو والنون :

وهو لفظ خاص بصفات المذكر العاقل وأعلامه، فتعود عليه الواو، فتقول: الزيدون قالوا. ولا يجوز: قالت "لبقاء لفظ المذكر الحقيقي" ^(٥) فيراعي اللفظ والدلالة في عود الضمير عليه وأما الملحق بجمع المذكر السالم فعلى قسمين :

١- البنون، حكمه مثل حكم "الأبناء"، أي حكمه في عود الضمير عليه مثل حكم جمع التكسير وإن كان يجمع بالواو والنون لعدم بقاء واحده.^(٦)

قال قريط بن أنيف العنبري :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَّازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ ... بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ دُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ^(٧)

^١ - ينظر شرح الرضي على الكافية : ٣ / ٣٤٤

^٢ - ينظر : المصدر السابق ٣ / ٣٤٤ ، ٣٤٥

^٣ - سورة فصلت : ٣٧

^٤ - الكشف ٤ / ٢٠٦

^٥ - شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٤

^٦ - ينظر : شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٣

^٧ - البيت نسب إليه في ، لسان العرب ٧ / ٣٩٣ و تاج العروس ٢٠ / ٧٩ ، ٢٥ ، ٥٢٠ ، وبالنسبة في مغني

اللبيب ١ / ٣٠

٢- أرضون، و سنون، حكمهما مثل حكم : "سنوات" أي: حكمهما في عود الضمير عليهما مثل حكم جمع المؤنث السالم قال الرضي ((حكم المجموع بالواو والنون المؤنث واحده، كالسنون والأرضون: حكم المجموع بالألف والتاء، لأن حقه الجمع بالألف والتاء.... فالواو والنون فيه، عوض من الألف والتاء " (١)

هـ - جمع المؤنث السالم :

وهذا الجمع يأتي على المذكر العاقل، و المؤنث العاقل وغير العاقل:

وأما المذكر العاقل فإذا اعتبر اللفظ اتصلت بفعله تاء التأنيث واستتر الضمير (هي) نحو: الطلحات قالت، وإن اعتبر المعنى اتصلت بالفعل واو الجماعة: (الطلحات قالوا). قال الرضي "و ضمير العاقلين لا بالواو والنون إمّا واو، نحو: الرجال الطلحات: ضربوا، نظرا إلى العقل؛ وإما ضمير المؤنث الغائب نحو: الرجال والطلحات فعلت، وتفعل، وفاعلة، نظرا إلى طرءان^(٢) معنى الجماعة على اللفظ " (٣) وما سوى ذلك باعتبارين: إما باعتباره جماعة فتتصل بالفعل التاء ويستتر الضمير (هي)، مثل: الفاطمات جاءت، و الظلمات ذهبت، و الجبيلات تجاوزت^(٤). وباعتبار المعنى فتتصل بالفعل (نون النسوة): الفاطمات جئن، و الظلمات ذهبن، والجبيلات تجاوزن^(٥)، قال تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾^(٦)

١ - شرح الرضي على الكافية ج ٣ / ص ٣٤٣

٢ - مصدر نادر للفعل طرأ

٣ - شرح الرضي على الكافية ج ٣ / ص ٣٤٤

٤ - جمع لتصغير جبل

٥ - ينظر : شرح الرضي على الكافية ج ٣ / ص ٣٤٤

٦ - سورة يوسف: ٥١

أثر المؤنث المعنوي في عود الضمير

تستعمل العرب الضمائر بقصد الاختصار ،وللتكنية بها عن اسم معهود بين طرفي الحديث: إما معهود ذهني أو لفظي ،وهم في التعبير عن هذا الإسم المعهود باستخدام الضمير يراعون أربعة جوانب أساسية هي:

- ١- جانب التشخيص : من خطاب وحضور وغيبة .
 - ٢- جانب العدد: من أفراد وتثنية وجمع.
 - ٣- جانب الجنس : من تذكير وتأنيث.
 - ٤- جانب النحو : مراعات للمحل الإعرابي في أحوال الرفع والنصب والجر .^(١)
- هذا وقد سبق أثر المؤنث الحقيقي في عود الضمير، والآن ألقى الضوء على أثر المؤنث المعنوي في عود الضمير.

- ١- إن كان المرجع مفرداً مؤنثاً معنوياً، وجب أن يكون ضمير الغائب مطابقاً له في ذلك^(٢)، مثل: قوله تعالى ﴿ وَصَدَقَتِ كَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ ﴾^(٣) فالضمير في "صدقت" هي "،و"الهاء" من "ربها" راجعتان الى مريم عليها السلام ،ومثل قوله تعالى: ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٤) فالهاء في (وعدها) عائدة على "النار" وقوله سبحانه: ﴿ b c d e ﴾^(٥)، والهاء في (أوزارها) عائدة على "الحرب"، فمريم،و النار،والحرب من المؤنثات المعنوية.قال سيبويه: ((وأما المضمرة المحدث فعلامته: "هو" وإن كان مؤنثاً فعلامته هي))^(٦)

١ - ينظر : التأنيث في اللغة العربية ص ١٦١

٢ - ينظر ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٤/ص ٢٨٦ والنحو الوافي ج ١/ص ٢٤٣

٣ - سورة التحريم : ١٢

٤ - سورة الحج : ٧٢

٥ - سورة محمد : ٤

٦ - كتاب سيبويه ٣٥١ / ٢

٢- وإن كان المرجع مثنى من المؤنث المعنوي وجب أن يكون ضميره " الألف" التي هي علامة التنثية في كل مثنى بشرط أن تصحبها " تاء التانيث" ^(١)، مثل قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَسْوَىٰ ۖ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنثِيًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ۚ قَالَتَا أَنْثِيَا طَائِعِينَ﴾ ^(٢) ! " # (٢) فالألف في (قالتا) عائدة على (السماء والأرض) ومثل: البنتان قالتا إنا في الحديقة. قال الزمخشري: " فإن قلت هلا قيل: طائعتين على اللفظ، أو طائعات على المعنى، لأنها سموات وأرضون؟ قلت: لما جعلن مخاطبات ومجيبات، ووصفهن بالطوع والكره، قيل: طائعتين (على جمع العقلاء وهي لا تعقل) نحو قوله "ساجدين" ^(٣) وضمير النسوة (فقضاهن) لا يخلو من مثل هذا الملحظ.

٣- اسم الجمع لغير العاقل يكون دائماً مؤنثاً ويجب أن يرجع إليه ضمير المؤنث، مثل: الغنم والخيول والإبل رعت ^(٤)، ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زِينَةَ الدِّينِ الَّتِي كَانَتْ لِلرِّجَالِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ لَوْلَا أَنَّهَا لَكُنْ لِلرِّجَالِ مَغْزًى غَدَافًا ۚ﴾ ^(٥) فالضمير في " خلقت" هي " راجع على " الإبل"، ومثل قول الشاعر:

وَتُبْلَى الْأُلَى يَسْتَلْمُونَ عَلَى الْأُلَى تَرَاهُنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كَالْحِدَا الْقُبْلِ ^(٦)، فالضمير في " تراهن" هن" يعود إلى غير العاقل وهو (الخيل) .

٤- اسم الجنس الجمعي للعاقل يكون دائماً مؤنثاً ، فعود الضمير إليه باعتبار اللفظ دون المعنى ، مثل: "العرب قالت" فالضمير في " قالت" هي " راجع على " العرب" لأنها تدل على الجماعة لفظاً ^(٧) .

١ - ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤١٣

٢ - سورة فصلت: ١١، ١٢

٣ - الكشف ٤ / ١٩٥

٤ - ينظر شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٥

٥ - سورة الغاشية: ١٧

٦ - البيت بلانسبة في : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - سوريا - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ١ / ١٤٢، و همع الهوامع ١ / ٣٢٣

٧ - ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٥

٥- جمع التكسير لغير العاقل يكون دائماً مؤنثاً، سواء كان مفردة مؤنثاً: كجواهر و عيون، أم مذكراً كحبال ورماح، تقول : الرماح تكسرت^(١)، ومثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ

﴿ أَن يَحْمِلَهَا ﴾^(٢) "قوله : " فأبين أتى بضمير هذه كضمير الإناث

لأن جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وإن كان مذكراً" ^(٣) ومثل قول الشاعر: إذا

الأمهات قَبَحْنَ الوجوهَ فَرَجَّتَ الظَّلَامَ بِأُمَاتِكَا ^(٤) ، فالضمير في " قَبَحْنَ راجع على

"الأمهات"

٦- جمع المؤنث السالم والضمير العائد إليه يجوز أن يكون مفرداً مؤنثاً ومجموعاً مؤنثاً،

فتقول: النساء فعلت، والنساء فعلن. ^(٥)

١ - ينظر: المصدر السابق ٣ / ٣٤٥

٢ - سورة الأحزاب : ٧٢

٣ - اللباب في علوم الكتاب ، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (المتوفى، بعد ٨٨٠هـ) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ١٥ / ٥٩٢

٤ - فقد خُرج سابقاً: ٧٢

٥ - ينظر : شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٤

المبحث الثالث

أثر المؤنث والمؤنث المعنوي في منع الصرف

وإذا نظرنا الى أثر المؤنث في التراكيب النحوية يتبين لنا أن من أظهر ذلك الأثر في منع الإسم العلم من الصرف . ولولا هذا الأثر ما يبقى للمؤنث اللفظي مكان حتى يشار إليه في الكتب النحوية . فالأسماء التي تطلق على الذكور قد تكون مؤنثة قبل نقلها للعلمية ولذلك تستصحب تأنيثها منفعة ظاهرة في منعها من الصرف ، وهي التمييز بين ما هو علم وغير علم . (١)

مثل : ١- سقطت طلحة . ٢- سقطت طلحة . ٣- سقط طلحة .

في المثال الأول (طلحة) منصرفة لإنها اسم للشجرة، وأما في المثال الثاني غير منصرفة لإنها علم للمؤنث وأما في المثال الثالث غير منصرفة أيضاً لتأنيث لفظه وإن كانت علماً للمذكر . (٢)

وأما أثر المؤنث لمنع الصرف فهو على ثلاثة أقسام : القسم الأول : أسماء موسومة بعلامة المؤنث والقسم الثاني ما كان معدولاً عن الأصل . والقسم الثالث : أسماء المؤنثات المعنوية

وأما القسم الأول : فهو أسماء موسومة بعلامة المؤنث ، والعلامات التي تكون سبباً لمنع الصرف، ثلاثة وهي : الالف المقصور، مثل : حبل ، والالف الممدودة، مثل : صحراء ، ويمنع من الصرف سواء كانتا نكرة كصحراء، أم معرفة كرضوى ، و زكرياء ، أم مفرداً كلياً ، مثل : مررت بزكرياء وليلى . أم جمعاً كمرضى ، وأنصياء ، أم أسماً كأمثلة السابقة، أم صفة

١ - ينظر، شرح الفية ابن مالك في النحو ، لفضيلة الشيخ العلامة ، محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الهدى ، القاهرة ، ط ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م / ٧١١ والمذكر والمؤنث ماهيته وأحكامه / ٢٦

٢ - ينظر: شرح الفية ابن مالك في النحو ، لفضيلة الشيخ العلامة ، محمد بن صالح العثيمين، ٧١١

كحبل، وببضاء^(١). قال أبو البركات الأنباري : ((وأما ما كان آخره ألف التأنيث فإنما لم ينصرف البتة ؛ لأنه مؤنث وتأنيثه لازم فكأنه أنث مرتين فلهذا لم ينصرف لأن العلة فيه قامت مقام علتين))^(٢) ويوجد بقاء هذه العلة حتى بعد أن تحذف منه العلامة، قال سيبويه : ((ولو سميت رجلاً حبارى ثم حقرته فقلت حبير لم تصرفه لأنك لو حقرت الحبارى نفسها فقلت حبير كنت إنما تعني المؤنث فالياء إذا ذهبت فإنما هي مؤنثة كعنيق))^(٣)

والحكم النحوي أنها مجرورة بفتحة مقدرة على الألف، نياية عن الكسرة، ويمتنع من التثنية في كل الحالات، مثل قوله تعالى: ﴿y x wv ut s r qp o﴾^(٤)

والثالث التاء ، أو هاء التأنيث ، فيمنع الصرف مع العلمية كما أشرنا آنفا سواء كان علما لمذكر ، مثل : حمزة أو لمؤنث مثل : عائشة . فيشترط أن تكون معرفة^(٥) قال أبو بكر بن السراج : ((فالأسماء التي لا تنصرف مما فيها علامة فنحو حمدة اسم امرأة وطلحة اسم رجل لا ينصرفان لأنهما معرفتان وفيهما علامة التأنيث فإن نكرتهما صرفتهما تقول مررت بحمدة وحمدة أخرى وطلحة وطلحة آخر وكل اسم معرفة فيه هاء التأنيث فهو غير مصروف))^(٦)

والقسم الثاني : ما كان معدولا عن الأصل

والأسماء المعدولة عن الأصل في الأعلام الذكورية تكون سببا في منع الصرف ، والحق أن يكون كل علم الذكر مذكرا وكل علم الأنثى مؤنثا ، ولكن يوجد في اللغة خلاف ذلك وهي تسمية المذكر بالمؤنث و تسمية المؤنث بالمذكر. قال سيبويه : ((اعلم أن كل مذكر سميت بمؤنث على أربعة أحرف فصاعداً لم ينصرف وذلك أن أصل المذكر عندهم أن يسمى

١ - ينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف ، لأبي إسحق الزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقيق ، هدى محمود قراعة ، القاهرة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ، ٢٩ /

٢ - أسرار العربية ١ / ٢٧٥

٣ - المصدر السابق ٣ / ٢٣٦

٤ - سورة طه: ٢٢

٥ - ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ١٢٥

٦ - الأصول في النحو ٢ / ٨٣

بالمذكر وهو شكله والذي يلائمه، فلما عدلوا عنه ما هو له في الأصل وجاءوا بما لا يلائمه ولم يكن منه فعلوا ذلك به كما فعلوا ذلك بتسميتهم إياه بالمذكر وتركوا صرفه كما تركوا صرف الأعجمي، فمن ذلك عناق وعقرب وعقاب وعنكبوت (أشباه ذلك))^(١). فعناق اسم من الاسماء المختصة بالمؤنث لا يقع إلا على أنثى. وكذلك عقرب وعقاب وعنكبوت أسماء مؤنثة وإن كانت تطلق في أصل وضعها على الذكر والأنثى. و يمنع من الصرف أعلام أطلقت على الذكور وهي في الأصل أعلام نساء. قال سيبويه: ((وإذا سميت رجلاً بسعاد أو زينب أو جبال وتقديرها جيعل. لم تصرفه؛ من قبل أن هذه أسماء تمكنت في المؤنث واختص بها وهي مشتقة، وليس شيء منها يقع على شيء مذكر كالرباب والثواب والدلال، فهذه الأشياء مذكورة، وليست سعاد وأخواتها كذلك، ليست بأسماء للمذكر، ولكنها اشتقت فجعلت مختصاً بها المؤنث في التسمية، فصارت عندهم كعناق وكذلك تسميتك رجلاً بمثل: عمان لأنها ليست بشيء مذكر معروف، ولكنها مشتقة لم تقع إلا علماً لمؤنث، وكان الغالب عليها المؤنث، فصارت عندهم حيث لم تقع إلا لمؤنث، كعناق لا تعرف إلا علماً لمؤنث كما أن هذه مؤنثة في الكلام. فإن سميت رجلاً برباب أو دلال صرفته؛ لأنه مذكر معروف))^(٢)

وإذا نظرنا نص سيبويه السابق يتبين لنا أن منع أعلام الذكور من الصرف ليس مقروناً بنقلها من الأسماء المؤنثة لفظاً بل يجري على الأسماء المؤنثة معنىً، ويوضح هذا قوله: ((وإن سميت رجلاً ثمانياً لم تصرفه؛ لأن ثمانياً اسم لمؤنث، كما أنك لا تصرف رجلاً اسمه ثلاث لأن ثلاثاً كعناق))^(٣)

القسم الثالث: أسماء المؤنثات المعنوية

وأما القسم الثالث: فيشمل كل علم مؤنث ليس فيه علامة التأنيث، بشرط أن تتحقق فيه أحد الشروط الآتية:

١ - كتاب سيبويه ٣ / ٢٣٥-٢٣٦.

٢ - كتاب سيبويه ٣ / ٢٣٩.

٣ - المصدر السابق ٣ / ٢٣٦.

١- أن يكون ثلاثيا مُتَحَرِّك الوسط، مثل: سَقَر، وأَمَل، وَسَمَرَ، قال سيبويه: ((اعلم أن كل مؤنث سميت بثلاثة أحرف متوالٍ منها حرفان بالتحرك لا ينصرف))^(١)

مثل قوله تعالى: ﴿عَٰلَمُ ٱلْغُيُوبِ ۚ﴾^(٢) وهذا الشرط يشمل أسماء القبائل والأرضين ، على إرادة القبيلة والبقعة؛ مثل: مصر. قال سيبويه: ((إذا كان اسم الأرض على ثلاثة أحرف خفيفة وكان مؤنثاً أو كان الغالب عليه المؤنث كعمان فهو بمنزلة قدر وشمس ودعد))^(٣)، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي﴾^(٤)

٢- أن يكون ثلاثيا أعجميا ساكن الوسط ، مثل: جُورَ ، قال سيبويه: ((فإن كان الاسم الذي على ثلاثة أحرف أعجمياً لم ينصرف وإن كان خفيفاً لأن المؤنث في ثلاثة الأحرف الخفيفة إذا كان أعجمياً بمنزلة المذكر في الأربعة فما فوقها إذا كان اسماً مؤنثاً))^(٥)

٣- أن يكون رباعيا، مثل: مريم ، وزينب ، وسُعاد . قال سيبويه: ((أو اسماً الغالب عليه المؤنث كسعاد فأنت بالخيار إن شئت صرفته وإن شئت لم تصرفه وترك الصرف أجود))^(٦)

١ - المصدر السابق ٢٤٠ / ٣

٢ - سورة المدثر: ٤٢

٣ - كتاب سيبويه ٢٤٢ / ٣

٤ - سورة يوسف: ٢١

٥ - كتاب سيبويه ٢٤٢ / ٣

٦ - المصدر السابق ٢٤٠ / ٣

المبحث الرابع

أثر المؤنث في العدد .

الأعداد من حيث المذكر والمؤنث ، تتصل بالمعدود ، إما موافقة له أو مخالفة .

فما وافق فقد تأثر المعدود فيه ، وما خالفه لم يظهر لها تأثير في لفظه، أما تأثير المؤنث سواء كان حقيقياً أو معنوياً فتكون على الأعداد الآتية:

- ١- الواحد والاثنتان: فهما يوافقان المعدود؛ فإن كان مذكراً فهما مذكران وإن كان مؤنثاً فهما مؤنثان ^(١) مثال للمذكر قوله تعالى: ﴿s r qp on m﴾ ^(٢) ومثل : جاء رجل واحدٌ أو رجلانِ إثنانِ، و مثال للمؤنث حقيقي قوله سبحانه: ﴿n ml k j i h g﴾ ^(٣) وجاءت امرأة واحدة أو امرأتان إثنان. ومثال للمؤنث المعنوي، قول العرب : ((هم يد واحدة على من سواهم، إذا كان أمرهم واحداً)) ^(٤) ﴿ / . - , + *) (﴾ ^(٥) أي : فإن كانتا أختين اثنتين .

١ - ينظر: كتاب اللع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق :

فانز فارس دار الكتب الثقافية - الكويت ، ١٩٧٢/١٦٣

٢ - سورة يوسف : ٦٧

٣ - سورة ص : ٢٣

٤ - العين: مادة (يدي) ١٠٣ / ٨

٥ - سورة النساء: ١٧٦

٢- العشرة فقد يتأثر فيها المؤنث الحقيقي وكذلك المؤنث المعنوي؛ إذا كانت مركبة مع عدد آخر وأما إذا كانت منفردة فلا يتأثر فيها^(١)، تقول للمعدود المذكر: جاء عشرة رجال، وجاء ثلاثة عشر رجلاً، وتقول للمعدود المؤنث الحقيقي: جاء عشر نساء، و ثلاث عشرة امرأة، وتقول للمؤنث المعنوي: هذه عشر كؤوس، وثلاث عشرة كأساً وتساكن الشين من (عشر) إذا أضيفت إلى المؤنث وتفتح إذا أضيفت إلى المذكر^(٢) مثل قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾^(٣)

٣- العدان: أحد عشر، واثنان عشر: فهما مذكران مع المذكر ومؤنثان مع المؤنث، فمع المذكر تقول: نجح أحد عشر طالباً، اثنان عشر طالباً، ومع المؤنث الحقيقي تقول: إحدى عشرة امرأة، اثنتا عشرة امرأة، وفي المؤنث المعنوي تقول: في قرينتنا إحدى عشرة عينا، ومثل قوله تعالى: ﴿X WV UT﴾^(٤)، ومثل: قوله تعالى: [! " # \$ % &]^(٥) والأسباط جمع سبط ((والسبط ولد الابن والابنة ومنه الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سمي سبطاً ليُفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق))^(٦)

١ - ينظر: كتاب اللمع في العربية، ١٦٣ /

٢ - ينظر، اللباب في علل البناء والإعراب، تأليف: أبي البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ) تحقيق: غازي مختار طليما، ط ١، دار الفكر - دمشق، ١٩٩٥، ٣٢١ /

٣ - سورة الأنعام: ١٦٠

٤ - سورة البقرة: ٦٠

٥ - سورة الأعراف: ١٦٠

٦ - المحكم والمحيط الأعظم مادة (س ب ط) ٨ / ٤٣٩

فإن قيل: لم جاء التمييز مجموعاً، وتمييز ما عدا العشرة يكون مفرداً؟ وهلا قيل: اثني عشر سبطاً؟ وتوجيه الآية أن المراد [! " # \$ %] وكل قبيلة أسباط، فوضع أسباطاً موضع قبيلة. ^(١)

٤- الأعداد التي على وزن (فاعل) من اثنين إلى عشرة؛ ليصف ما قبله ويدل على ترتيبه، ويُصاغ العدد من اثنين إلى عشرة على وزن (فاعل) كما يُصاغ اسم الفاعل من (فعل) فكما تقول: ضاربٌ من الفعل ضَرَبَ ؛ تقول أيضاً في العدد : ثَانٍ ، وَثَلَاثَ ، وَرَابِعَ ... إلى عَاشِرٍ ، بلا تاء في المذكر ، وبناء في المؤنث الحقيقي والمعنوي: ثَانِيَّةٌ ، وَثَلَاثَةٌ ، وَرَابِعَةٌ ... إلى عَاشِرَةٍ . أمّا وَاحِدٌ فهو اسم وُضِعَ على فاعِلٍ من أوَّل الأمر .

قال ابن مالك :

وَصُغَ مِنْ اثْنَيْنِ فَمَا فَوْقَ إِلَى عَشْرَةٍ كَفَاعِلٍ مِنْ فَعَلًا
وَاخْتِمَهُ فِي التَّائِيثِ بِالتَّاءِ وَمَتَّى ذَكَرْتَ فَادْكُرْ فَاعِلًا بغيرِ تَا ^(٢)

لاسم الفاعل المصوغ من العدد ثلاثة أحوال : ^(٣)

الأول: أن يستعمل مفرداً فيقال : ثَانٍ ، وَثَانِيَّةٌ ، وَثَلَاثَ ، وَثَلَاثَةٌ . ويكون معناه : الاتّصاف بالعدد فقط ، نحو : سندهب الساعةِ الثَّانِيَّةِ ، ونحو: انظر الصفحةَ الخامسةَ.

والثاني: أن يستعمل مع موافق ، أي: مع ما اشتق منه ، كثنائي مع اثنين فيجب إضافته عند الجمهور فتقول في المذكر: ثاني اثنين ، وثالث ثلاثة ، ورابع أربعة ؛ وتقول في المؤنث:

١ - ينظر الكشف، الكشف ١٥٩ / ٢ التفسير الكبير ٢٨ / ١٥

٢ - الألفية في النحو / ٧٠

٣ - ينظر كتاب سيبويه ٥٥٩ / ٣ ، و العدد في اللغة، لعلي بن إسماعيل بن سيدة النحوي اللغوي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق: عبد الله بن الحسين الناصر / عدنان بن محمد الظاهر ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م / ٤٩

ثانية اثنتين، وثلاثة ثلاثٍ ، ورابعة أربع ... وهكذا إلى عشرة عَشْرٍ. ومنه قوله تعالى:

﴿ اَتْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغَارِ ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿ \ [] ^ _ ` a ﴾^(٢) والمعنى : أحد اثنتين ، وأحد ثلاثة .

والثالث: أن يستعمل مع مخالفه ولا يكون إلا للعدد الذي تحته، فهذا يجوز أن يضاف وأن ينون ، تقول في المضاف: ثالثُ اثنتين ، ورابعُ ثلاثة ، وعاشرُ تسعة ؛ وفي المؤنث: ثالثةُ اثنتين، ورابعةُ ثلاثٍ ، وعاشرةُ تسع .

وتقول في المنون: ثالثُ اثنتين ، ورابعُ ثلاثة ، وعاشرُ تسعة ؛ وتقول في المؤنث : ثالثةُ اثنتين ، ورابعةُ ثلاثاً ، وعاشرةُ تسعاً .

ومعنى (ثالثُ اثنتين) أنه جاعل الاثنتين بنفسه ثلاثة .و(رابعُ ثلاثة) أنه جاعل الثلاثة بنفسه أربعة ... وهكذا .

١ — سورة التوبة: ٤٠

٢ — سورة المائدة: ٧٣

المبحث الخامس في المطابقة بين الفعل والفاعل والنعته والخبر والحال

وينقسم الى مطلبين

المطلب الأول : أثر المؤنث في المطابقة بين الفعل والفاعل.

المطلب الثاني : أثر المؤنث في مطابقة النعت والخبر والحال.

المطلب الأول

أثر المؤنث في المطابقة بين الفعل والفاعل

تتغير أثر المؤنث على الفعل بطبيعة الفاعل من حيث إتصاله وانفصاله ومن حيث إظهاره وإضماره ومن حيث حقيقته ومجازه، وفيما يأتي تبين أثر أنواع المؤنث على الفعل:

١- المؤنث الحقيقي وأثره على الفعل:

إذا أسند الفعل إلى المؤنث الحقيقي فإنه يراعى فيه ما يأتي : —

أ — واجب التأنيث تكون في حالتين :

الأولى: أن يسند الفعل إلى ضمير مستتر يعود إلى مؤنث حقيقي، مثل: قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ ۖ لِلَّيْلِ﴾^(١)، ومثل: فاطمة نجحت .

الحالة الثانية: أن يسند الفعل إلى المؤنث الحقيقي الظاهر، غير مفصول عن الفعل^(٢) مثل قوله

تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ ۖ وَاللَّيْلِ ۖ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿يُؤَلِّمُهَا ۖ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿يُؤَلِّمُهَا ۖ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿يُؤَلِّمُهَا ۖ﴾^(٦)

﴿يُؤَلِّمُهَا ۖ﴾^(٧) ومثل: "روت عائشة - رضي الله عنها - أحاديث كثيرة"، ومثل: "قامت طالبان"

ب — جائز التأنيث تكون في حالتين:

الأولى: أن يسند الفعل إلى المؤنث الحقيقي وبينهما فاصل، مثل: "حضر القاضي امرأة".
و"حضرت القاضي امرأة"^(٨).

واما إذا أسند الفعل إلى المؤنث الحقيقي الظاهر وفصل بينهما بإلا فتذكير الفعل أفصح، مثل: ما قام الا هند.^(٩)

١ — سورة الأحزاب : ٥٠

٢ — ينظر : كتاب سيبويه ٣٨ / ٢ ، و المقتضب ١٤٨ / ٢

٣ — سورة البقرة : ٢٣٣

٤ — سورة البقرة : ٢٨٢

٥ — ينظر: كتاب سيبويه ٣٨ / ٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤١

٦ — حاشية الصبان ٧٥ ، ٧٤ / ٢

وذهب بعض العلماء الى أنه لا يجيز تانيث الفعل إذا أسند إلى المؤنث الحقيقي مع الفصل "بإلا" إلا في الضرورة. ^(١) مثل قول الشاعر :

مَا بَرِئْتُ مِنْ رِيْبَةٍ وَدَمَّ ... فِي حَرْبِنَا إِلَّا بَنَاتُ الْعَمِّ ^(٢)

وقد يأتي تذكير الفعل مع اسناده إلى المؤنث الحقيقي الظاهر "بلا فصل" شذوذاً، قال سيبويه: ((وقال بعض العرب قال فلانة)) ^(٣)

الحالة الثانية: نَعَمْ ، وَبِئْسَ ، إذا أسندا الى المؤنث الحقيقي ، مثل : نَعَمْ المرأةُ هُنْدُ ، وَنِعْمَتِ المرأةُ هُنْدُ ، قال سيبويه : ((واعلم أن نعم تؤنث وتذكر وذلك قولك نعمت المرأة وإن شئت قلت نعم المرأة كما قالوا ذهب المرأة والحذف في نعمت أكثر)) ^(٤) وعلة جواز الإثبات ، والحذف: أن فاعلهما مقصوده استغراق الجنس، أي: جميع أفراد الجنس ^(٥) قال ابن هشام: ((والتذكير على معنى الجنس لأن المراد بالمرأة الجنس لا واحدة معينة)) ^(٦)

٢- المؤنث المجازي، وأثره على الفعل .

أ - واجب التأنيث تكون في حالة واحدة:

أن يسند الفعل إلى ضمير مستتر يعود إلى مؤنث مجازي ، مثل قوله تعالى: ﴿ N ML

﴿ T S R Q P O ^(٧) ، وقوله تعالى: ﴿ X WV U T ^(٨)

١ - ينظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ) ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، ط ١ ، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م ٢ / ٥٨٩ ، وشرح شذور الذهب: / ٢٣١ و همع الهوامع ٣ / ٣٣٤ ، وحاشية الصبان ٢ / ٧٤

٢ - البيت بلانسبة في شرح شذورالذهب/٢٣١ و همع الهوامع ٣ / ٣٣٤ ، وحاشية الصبان ٢ / ٧٤

٣ - كتاب سيبويه ٢ / ٣٨

٤ - كتاب سيبويه ٢ / ١٧٨

٥ - ينظر ، شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٠ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢ / ١١٢

٦ - شرح شذور الذهب / ٢٣٠

٧ - سورة طه : ١٢٩

٨ - سورة البقرة : ٢٦١

ب — جائز التأنيث تكون في حالتين :

الأولى: أن يسند الفعل إلى المؤنث المجازي وهو ما ليس له فرج حقيقي مثل "إحدى اللبن"

أعني لبنة، فكما تقول سقطت اللبنة وسقط اللبنة^(١)

الحالة الثانية: أن يسند الفعل إلى جمع تكسير لمذكر، أو لمؤنث^(٢) مثل : قال الأعراب، وقالت

الأعراب مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ

﴿٤﴾ ونحو: قال الفواطم، وقالت الفواطم، ومثل قوله تعالى: ﴿إِذَا كَانُوا فِيهَا يَخْتَضِعُونَ لِحُكْمِهَا﴾^(٥)

و: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾^(٦)، قال ابن هشام: الجماعة مؤنث مجازي فلذلك جاز فيه التأنيث

والتذكير^(٧)

٣ — المؤنث المعنوي و أثره على الفعل:

أ — واجب التأنيث تكون في حالتين :

الأولى: أن يسند الفعل إلى ضمير مستتر يعود إلى علم مؤنث أو إلى أي اسم آخر من

المؤنثات المعنوية، مثال العلم مؤنث: "هند قامت" وللمؤنث المعنوي قوله تعالى: ﴿وَصَاقَتْ

عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾^(٨)، فالفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هي، ولا يجوز

التذكير بحذف التاء إلا في الشعر كقول عمرو بن جوين الطائي:

فلا مُزَنَّةٌ ودَقَّتْ ودَقَّها ولا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَها^(٩)

١ — ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٩٥ / ٢

٢ — شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٠

٣ — سورة هود : ٦٩

٤ — سورة يوسف : ١١٠

٥ — سورة البقرة : ٢١٣

٦ — سورة آل عمران : ٨٦

٧ — ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١١٦ / ٢

٨ — سورة التوبة: ٢٥

٩ — تخرجا سابقا : ١٠٩

الحالة الثانية:: أن يسند الفعل إلى علم مؤنث ظاهر، أو إلى اسم آخر من المؤنثات المعنوية بشرط أن يكون غير مفصول عن الفعل ^(١) مثل : "قامت هند"، و"قامت الهندان".

ومثل: قوله تعالى: ﴿ \] ^ _ ﴿ ^(٢)

وأما جازر التأنيث فقد تكون في الأحوال الآتية :

الأولى: أن يسند الفعل إلى علم مؤنث وبينهما فاصل ، مثل : " حضر القاضي زينب " . و " حضرت القاضي زينب " . ^(٣) واما إذا أسند الفعل إلى علم مؤنث ظاهر وفصل بينهما بإلا فتذكير الفعل أفصح ، مثل: ما قام الا هند. ^(٤)

الثانية: أن يسند الفعل إلى اسم الجمع ، مثل : جاء القوم ، وجاءت القوم ^(٥) و مثل قوله تعالى: ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ ^(٦) وقال سبحانه: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴿ ^(٧)

الثالثة: أن يسند الفعل إلى اسم الجنس الجمعي، مثل : جاء الرُّومُ ، وجاءت الروم ^(٨) . ومثله قوله تعالى: ﴿ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿ ^(٩)

والنائب عن الفاعل اسم يحل محل الفاعل المحذوف، و يأخذ حكم الفاعل في تذكير الفعل وتأنيثه ^(١٠) . مثل قوله تعالى: ﴿ n m l k j i h g f e d c b ﴿ ^(١١)

^١ - ينظر : كتاب سيبويه ٣٨ / ٢ ، و المقتضب ١٤٨ / ٢

^٢ - سورة طه : ٤٠

^٣ - ينظر: كتاب سيبويه ٣٨ / ٢ وشرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤١

^٤ - حاشية الصبان ٧٥ ، ٧٤ / ٢

^٥ - شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٠

^٦ - سورة الشعراء : ١٠٥

^٧ - سورة الأنعام : ٨٠

^٨ - شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٤٠

^٩ - سورة فاطر : ١٠

^{١٠} - ينظر : التأنيث في اللغة العربية، ٢٨٦/

^{١١} - سورة الأعراف : ٤٧

المطلب الثاني

أثر المؤنث في مطابقة النعت والخبر والحال :

١ - النعت : (١)

الأصل أن النعت يتبع منعوته ويطابقه في إعرابه وعدده (٢) وتعريفه وجنسه (٣) فالذكر يُنعت بذكر مثله ، والمؤنث يُنعت بمؤنث مثله ، فمثال نعت المذكر بالذكر: محمدٌ رجلٌ حسنٌ ، و المحمدان رجلان حسنان، والمحمدون رجالٌ حسنون، ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٥)

أما مثال نعت المؤنث بالمؤنث، فاطمة امرأةٌ حسنةٌ ، و فاطمتان امرأتان حسنتان ، و فاطمات نساءٌ حسنات، ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَ وَالْعَنَتُ عَلَيْكُمْ﴾ (٦)

أثر المؤنث المعنوي في النعت

مما تقدم يبدو لنا أن المطابقة بين النعت ومنعوته واجبة في الإعراب، وفي العدد وفي التعريف والتذكير وفي الجنس، فلا يوصف مرفوع بمنصوب أو مجرور ، بل بمرفوع مثله ، وكذلك إذا كان منصوبا أو مجرورا ،، فينعت بما يطابقه إعرابا ، ولا يوصف المفرد بمثنى أو جمع ، بل بمفرد مثله ، وكذلك إذا كان مثنى أو جمعا فينعت بما يطابقه عددا ، وكذا الأمر في التعريف والتذكير ، فلا توصف المعرفة إلا بمعرفة مثلها ، ولا توصف النكرة إلا بنكرة مثلها ولا يوصف مذكر بمؤنث ولا العكس ، بل كل بما يطابقه، وهذا كله في النعت الحقيقي ،

١ - يشمل دراستنا: النعت الحقيقي .

٢ - وقد استنتى العلماء ألفاظ مسموعة لا يقاس عليها ، مثل : نطفة أمشاج ، جمع مشيج ، و برمة أعشار ، جمع عشر، و ثوب أكياش ، أي : متمزق، وحبل أرمام، وهو من وصف المفرد بالجمع . ينظر: المقتضب ٣ / ٣٢٩ ، والكشاف ٤ / ٦٦٦

٣ - شرح ابن عقيل ٣ / ١٩٠ ، شرح التصريح على التوضيح ٢ / ١٠٨

٤ - سورة النساء : ١٦١

٥ - سورة هود : ٤٤

٦ - سورة البقرة : ٤٧

و بناء على أن النعت يدل على بعض أحوال متبوعه لا عليه ^(١) فالمؤنث المعنوي قديتأثير في النعت وقد لا يتأثر أماالذي يتأثرفهي ألفاظ المؤنثات المعنوية غير علم المؤنث ،تلك الألفاظ تتأثرفي النعت مثل تأثيرالمؤنث الحقيقي،مثل قوله تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ' ﴾ ^(٢) و قال تعالى: ﴿ h g f e ﴾ ^(٣) وأماالذي لايتأثر فأعلام الإناث ،مثل: (زينب، أحلام ، سعاد، حنان ، فانتن ، سندس) لأن العلم بوجه العام لايجوز أن ينعت به. وقد قرر سيبويه أن الاسم العلم الخاص يوصف بثلاثة أشياء :بالمضاف الى مثله ، نحو قولك: مررت بزینب أختك، وبألف واللام ،. تقول: مررت بزینب العاقلة، ورأيت زینب العاقلة.وبالأسماء المبهمة، نحو: رأيت زینب هذه، ومررت بزینب تلك. ^(٤) .غير ان العلم الخاص عند سيبويه لا يصلح ان يكون صفة ، فهو لا يوصف به والعلة في ذلك عنده هي :((لانه ليس بحلية ، ولا قرابة ،ولا مبهم)) ^(٥) زاد ابن يعيش علة أخرى، وهي عدم الاشتقاق، أي أن العلم لاينعت به؛ لأنه ليس بمشتق ^(٦)

أي: ((أن النعت لا بد له من إضافة على المنعوت تجعله يخرج من حال إلى أخرى سماها النحاة التحلية أو النسب ، وهو غير موجود في العلم ولا يمكن له أن يفيد.)) ^(٧)

١ - ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع) ، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن أبي محمد عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ط ١ : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / ١٥٧

٢ - سورة النساء: ١

٣ - سورة المسد : ٣

٤ - ينظر: كتاب سيبويه ٦/٢

٥ - المصدر السابق ١٢/٢

٦ - ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش ٥٧ / ٣

٧ - العلة النحوية عند الرضي في شرح الكافية لرضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ) (رسالة ماجستير)،

علي سعيد جاسم الخيكاني، كلية التربية ،قسم اللغة العربية، جامعة بابل -١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م / ١٨٤

٢- الخبر^(١)

اشترطَ النحاةُ التطابقَ بين المبتدأ والخبر في الجنس والعدد ، ولم يشترطوا ذلك في التعريف والتذكير ، إذ قد يتفقان ، وقد يختلفان. يقول الدماميني : ((و يجب (أن يكون) هو، أي الخبر (طبق المبتدأ) في التذكير والتأنيث والإفراد والتنثية والجمع مدة (ما أمكن ذلك))^(٢) ويقول السيوطي^(٣) : ((ويقع بلفظ المرفوع المنفصل مطابقا ما قبله في الإفراد والتنثية والجمع والتذكير والتأنيث والتكلم والخطاب والغيبة))^(٤)

أي: لا بد من مطابقة الخبر للمخبر عنه إن مفردا فمفرد وإن مثني فمثني وإن مجموعا فمجموع وإن مذكرا فمذكر وإن مؤنثا فمؤنث. مثال المطابقة في الإفراد، مذكرا ومؤنثا: قوله تعالى: ﴿س ر ق پ ن م ل ك﴾^(٥) وقوله سبحانه: ﴿س ر ق پ ن م ل ك﴾^(٦) ومثال المطابقة في التنثية، مذكرا ومؤنثا: قوله تعالى: ﴿ر ق پ ن﴾^(٧) وهاتان فئتان متحجبتان، ومثال المطابقة في الجمع، مذكرا ومؤنثا: قوله تعالى: ﴿ج ه و ط ز ح ط ث د ن﴾^(٨)

﴿ك﴾^(٩) قوله تعالى: ﴿ك و و ط ر﴾^(١٠)

١ - دراستنا في الخبر المفرد ولا يشمل الخبر الجملة وشبه جملة.

٢ - المنهل الصافي في شرح الوافي ، بدر الدين الدماميني ، (المتوفى ٨٢٨ هـ) ، دراسة وتحقيق : فاخر جبر مطر ، (أطروحة دكتوراه ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م . ج ١/ص ٢٤٤ . و المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم : ص ٢

٣ - همع الهوامع ج ١/ص ٢٧٦

٤ - سورة الفتح: ٢٩

٥ - سورة البقرة: ٢٥٩

٦ - سورة الحج: ١٩

٧ - سورة المائدة: ١

٨ - يوسف: ١

أمثلة لأثر المؤنث المعنوي في مطابقة الخبر :

مثال المطابقة في المفرد مؤنثاً معنوياً ، قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ قَبِلَهُ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(١) ومثال المطابقة في المثنى مؤنثاً معنوياً ، قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٢) ومثال المطابقة في الجمع ، مؤنثاً معنوياً: **الهنداتُ نساءٌ حسناتٌ**

٣- الحال :

حكم الحال مع ذي الحال طبق حكم الخبر مع المخبر عنه ، قال الدماميني: ((إنما كان شبه الحال بالخبر أقوى لأن حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه أبداً فإنك إذا طرحت (هو ، وجاء ، وضربت) مثلاً من قولك: (هو الحق بينا ، وجاء زيد راكباً ، وضربتُ اللَّصَّ مكتوفاً ، بقي الحق بين ، وزيد راكب واللص مكتوف))^(٣) أي : لا بد من مطابقة الحال مع ذي الحال إن مفرداً فمفردٌ ، وإن مثنى فمثنى ، وإن مجموعاً فمجموعٌ ، وإن مذكراً فمذكر وإن مؤنثاً فمؤنث . ومن أمثلة المطابقة في الأفراد ، مذكراً ومؤنثاً: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ جَالِساً وَ مَرَرْتُ بِفَاطِمَةَ جَالِسَةً ، ومن أمثلة المطابقة في التثنية ، مذكراً ومؤنثاً: جَاءَ الْأَبُ وَالْإِبْنُ رَاكِبَيْنِ سَيَّارَةً ، وجاءت الفاطمةُ والعائشةُ رَاكِبَتَيْنِ سَيَّارَةً .

١ — سورة المائدة: ٧٥

٢ — سورة المائدة: ٦٤

٣ — حاشية الصبان - ٢ / ٢٥٧

أمثلة لأثر المؤنث المعنوي في مطابقة الحال :

مثال المطابقة في المفرد مؤنثاً معنوياً ، قوله تعالى: ﴿wv ut s r q p o﴾^(١) ، ومثال المطابقة في المثنى مؤنثاً معنوياً ، الأم والبنت رَاكِبَتَيْنِ سَيَّارَةً . ومثال المطابقة في الجمع ، مؤنثاً معنوياً: قوله تعالى: ﴿z y | { }﴾^(٢) قوله تعالى: ﴿m l k j i h g﴾^(٣)

هناك حالات لا يوافق فيها النعت منوعته ولا الخبر مبتداه ولا الحال ذا حاله وسنكتفي هنا بما يتعلق بأمر الجنس. وهي^(٤):

١ — ما يلزم صيغة واحدة في المذكر والمؤنث^(٥) ، وهي خمسة أوزان:

أ — فَعُول بمعنى فاعل ، مثال: النعت: هذا الرجل الصبور ، و"هذه المرأة الصبور" ،

و الخبر: هذا الرجل صبور ، و"هذه المرأة صبور" أي: صابر ، ومنه ﴿K J I H﴾^(٦) أصله بغوياً ، ثم أدغم والحال: يكذُّ الرجلُ صبوراً ، و"تكذُّ المرأةُ صبوراً" .

ب — فَعِيل بمعنى مفعول ، مثال: النعت: هذا الرجل الجريح و"هذه المرأة الجريح

" ، والخبر: هذا الرجل جريح ، و"هذه المرأة جريح" . ومنه قوله تعالى: ﴿n m l k j﴾

﴿o﴾^(٧) ، جاء في لسان العرب ، ((إنما قال تعالى (o n) ؛ لأن فعيلًا وفِعْولًا قد

استوى فيهما المؤنثُ والمذكرُ والجمعُ ، مثل: رسول وعدو وصديق))^(٨) ، والحال: رجع الرجل جريحاً ، و"رجعت المرأة جريحاً" .

١ — سورة طه: ٢٢

٢ — سورة النمل: ٥٢

٣ — سورة الملك: ١٩

٤ — هذه الأحوال عام تشمل أنواع المؤنث، أي: المؤنث الحقيقي واللفظي والمعنوي

٥ — ينظر ، المقتضب ١٦٥/٣ ، و أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢٨٧/٤ ، و شرح ابن عقيل ٩٣/٤ ، و النحو الوافي ١/ ٤١٦

٦ — سورة مريم: ٢٨

٧ — سورة يس: ٧٨

٨ — لسان العرب مادة (عظم) ١٢ / ٢٥٣

ج — مفعال، مثال: النعت: هذا الرجل المِعْطَارُ و"هذه المرأة المِعْطَارُ"، والخبر: هذا الرجل مِعْطَارٌ، و"هذه المرأة مِذْكَارٌ" أي: المرأة التي تلدُ الذُكُورَ. والحال: رجع الرجلُ جريحاً، و"رجعت المرأة جريحاً". ومنه قوله تعالى: ﴿! " # \$ % (١) \$ % حال من السماء ولم يؤنثه لوجهين أحدهما أن السماء السحاب فذكر مدراراً على المعنى والثاني أن مفعلاً للمبالغة وذلك يستوي فيه المؤنث والمذكر (٢)

د — مفعيل، مثال: النعت: هذا الرجل المعطير و"هذه المرأة المعطير. والخبر: هذا الرجل معطيرٌ، و"هذه المرأة معطيرٌ، والحال: مررت به معطيراً، و"مررت بها معطيراً. هـ — مفعّل، مثال: النعت: هذا الرجل المغشم (٣) و"هذه المرأة المغشم. والخبر: هذا الرجل مغشم، و"هذه المرأة مغشم، والحال: رجع الرجل مغشماً و"رجعت المرأة مغشماً.

٢ — أن يكون المنعوت إسم جنس جمعاً يفرق بينه وبين واحد بالتاء الدالة على الواحد، فيجوز في نعته، وخبره وحاله ما يأتي (٤): أما النعت: فيجوز فيه المذكر مع المفرد رعاية للفظه، مثل: عندي تمرٌ طيبٌ، والمؤنث مع المفرد رعاية لمعنى الجمع، مثل: عندي تمرٌ طيبةٌ، وجمع التكسير رعاية لمعنى الجمع، مثل: عندي تمرٌ كبيرٌ. وجمع مؤنث سالم رعاية لجمع مفردة (ثمرات)، مثل: عندي تمرٌ كبيرات، ومثل قوله تعالى: ﴿UT S RQ (٥) W V ومثل قوله تعالى: ﴿% \$ # " (٦) % & ' (٦)

١ — سورة نوح: ١١

٢ — ينظر، المذكر والمؤنث للفرء / ٦٧، وإعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١ — ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٥ م ١١٥ / ٥، والإعراب المفصل في كتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للنشر والتوزيع ١٢ / ١٨٥

٣ — أي: جريء، وشجاع.

٤ — ينظر: مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن منشورات وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية، دار الحرية، ١٩٧٥ م ٢ / ٦٩٩ - ٧٠٠. وشرح الرضي على الكافية، ٣ / ٣٦٥، والمذكر والمؤنث ماهيته وأحكامه / ٤٠

٥ — سورة البقرة: ٨٠

٦ — سورة البقرة: ٢٠٣

وكذلك حكم الخبر والحال، فنقول في الخبر: تمرّ طيّبٌ ، طيّبةٌ ، كبارٌ ، كبيراتٌ ، ونقول في الحال : تناول التمرَ طيباً ، طيبةً ، كباراً ، كبيراتٍ

٣- أن يكون المنعوت اسم تفضيل، فيجوز في نعته، وخبره ما يأتي:

أما النعت فيلزم فيه الإفراد والتذكير وإن اختلف المنعوت جنساً أو عدداً، مثل: ^(١)

زرت مسجداً أقدمَ مسجد في المدينة، وزرت قلعة أقدمَ قلعة فيها.

زرت مسجدين أقدمَ مسجدين في المدينة وزرت قلعتين أقدمَ قلعتين فيها.

زرت مساجد أقدمَ مساجد في المدينة، وزرت قلاعاً أقدمَ قلاع فيها.

وأما الخبر فإذا جاء أفعال التفضيل مجرداً عن الإضافة والألف واللام ، لزم الإفراد والتذكير ، أي مخالفة المبتدأ في العدد والجنس ، يقول ابن عقيل : ((ويلزم أفعال التفضيل المجرّد الإفراد والتذكير وكذلك المضاف إلى نكرة)) ^(٢) ، فنقول : (زيد أفضل من عمرو ، والزيدان أفضل من عمرو والزيدون أفضل من عمرو ، وهند أفضل من زينب ، والهندان أفضل من زينب ، والهندات أفضل من زينب) ، وعلل ابن يعيش هذا الإفراد والتذكير مع غير المفرد المذكر بقوله : ((قد تقدم القول أن أفعال منك موضوع للتفضيل ، وهو بمنزلة الفعل ، إذ كان عبارة عنه ، ودالا على المصدر والزيادة ، كدلالة الفعل على المصدر والزمان ، فمنع التعريف ، كما لا يكون الفعل معرفاً ، ومنع التنثية والجمع ، كما لا يكون الفعل مثني ولا مجموعاً ، وكذلك لا يجوز تأنيثه ، إنما تقول: (هند أفضل منك) من غير تأنيث، وذلك لأن التقدير (هند يزيد فضلها على فضلك) فكان أفعال ينتظم معنى الفعل والمصدر ، وكل واحد من الفعل والمصدر مذكر لا طريق إلى تأنيثه)) ^(٣)

١ - ينظر: المذكر والمؤنث ماهيته وأحكامه / ٤٠

٢ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣ / ١٧٨

٣ - شرح المفصل، لابن يعيش ٦ / ٩٦